العرب
السبت 2021/02/06
السنة 43 العدد 11963

في قول ما ينبغي قوله في الشأن الفلسطيني

ماجد كيالي
كاتب وسياسي فلسطيني

منذ غرست في وعي الفلسطينيين قصة المصالحة مع إسرائيل الاستعمارية والاستيطانية والعنصرية، آل مشروعهم الوطني إلى الأفول والتصدّع أو التفكّك. حصل ذلك في إدراك الفلسطينيين لقضيتهم، أو لروايتهم التاريخية الجامعة التي انتقل مركز ثقلها من ملف 1948 إلى ملف 1967، ومن سردية النكبة إلى سردية الاحتلال، ومن هدف التحرر والتحرير إلى هدف الاستقلال في دولة بـ22 في المئة من أرض فلسطين التاريخية. كما حصل ذلك أيضا في غياب الإجماع الوطني حول هدف معيّن، بحكم محاولات تخليق إدراكات وأولويات متضاربة للفلسطينيين، بحسب أماكن وجودهم، كأنهم بمثابة شعوب عديدة في واقع تتعامل فيه إسرائيل معهم بالجملة وفق استراتيجية واحدة تقوم على التذويب أو التدجين أو التطويع أو النفي، وإن بسياسات متعددة.

صحيح أن ما تقدم بدأ يحصل مع تبني البرنامج المرحلي (1974) الذي جاء ليس كتطور في الفكر السياسي الفلسطيني ولا كنتاج لواقعية كفاحية، بقدر ما جاء تلبية لشروط خارجية، وللتماثل مع النظامين العربي والدولي، إلا أن ذلك بلغ ذروته مع عقد اتفاق أوسلو (1993) الذي أنهى المشروع الوطني الفلسطيني جملة وتفصيلا بخطاباته وكياناته، رغم بقاء بعض من روحه وهو ما تجلى في الانتفاضة الثانية، وبسبب وجود الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، مع فهمه لدوره ومكانته ورمزيته التاريخية.

بيد أن الأمر تم حسمه نهائيا بعد الانتفاضة الثانية ورحيل عرفات (أواخر 2004)، وبمجيء محمود عباس الذي أنهى زمن المزاوجة لصالح الارتهان لخيار السلطة والمفاوضة والامتثال، بحيث بات معه يصحّ القول إن الفلسطينيين في الأراضي المحتلة كانوا قبل إقامة السلطة أكثر وحدة وتحررا وتصميما على مقاومة الاحتلال منهم بعد إقامتها، وهو استنتاج مؤلم.

وفي الواقع ففي هذا العهد تم تهميش منظمة التحرير، وتكرّس الانقسام الفلسطيني، وتحولت حركة فتح إلى حزب للسلطة، وبات الرئيس عباس، الذي أحكم قبضته على السلطتين التشريعية والقضائية أيضا بمثابة الأمر النهائي للمنظمة والسلطة وفتح، ومعه طبقة سياسية مستهلكة ومتقادمة ولم يعد لديها ما تضيفه، ولا يهمّها إلا استمرار هيمنتها للحفاظ على مكانتها وامتيازاتها.

مناسبة هذا الكلام المعطيات التي دعت فيها القيادة الفلسطينية إلى تنظيم الانتخابات، دون أن تعلّل الأسباب التي جعلتها تحل المجلس التشريعي السابق، أو التي حالت دون تنظيم انتخابات جديدة طوال عشرة أعوام، أو عدم التزامن بين الانتخابات التشريعية والرئاسية والمجلس الوطني، أو إسقاط تحديد فترة ولاية الرئيس من القانون الجديد، أو منع المشتغلين في الوظيفة العمومة من الترشح (إلا بعد الاستقالة) إلى جانب السؤال عن المحكمة الدستورية وعن مجلس القضاء الأعلى.

وفوق كل ذلك يمكن طرح السؤال عن الإطار السياسي الذي عاودت القيادة الفلسطينية الاشتغال به ضمن سقف اتفاق أوسلو المجحف والناقص والمهين، لاسيما أن استئنافها للعلاقات والتنسيق الأمني مع إسرائيلي جاءا على الضد من قرارات المجلسين الوطني والمركزي.

وفي ذلك فقد جاء مطلب "ملتقى فلسطين"، الذي يضم شخصيات من مختلف أماكن وجود الشعب الفلسطيني، بتنحي الرئيس، في محله (في البيان الذي أصدره مؤخرا) بعد كل تلك التجربة وبناء على كل تلك المعطيات وضمن ذلك مصادرة الحريات وتكرّس القيادة الفردية والاستهتار بالمبادئ والأطر والقوانين والمؤسسات الغريبة عن روح الحرية والكرامة، التي تشكّل جوهر نضال الفلسطينيين التحرري ضد إسرائيل الاستعمارية الاستيطانية العنصرية.

ولعل الفكرة المركزية الثانية في ذلك البيان اللافت، تمثلت في تأكيد "استحالة الفصل بين أزمة الكيانات السياسية (المنظمة والسلطة والفصائل) وأزمة المشروع الوطني" وأن "هاتين الأزمتين مرتبطتان بالطبقة السياسية المهيمنة". أما الفكرة المركزية الثالثة فتكمن في الاستنتاج بأن طريقة إدارة العمل الفلسطيني، ووجود مثل تلك الطبقة هو ما أدى إلى حرف المسيرة الوطنية "بالتحول من حركة تحرر وطني انبنت على وحدانية الشعب والأرض والقضية والرواية التاريخية إلى سلطة لجزء من شعب في جزء من أرض مع جزء من حقوق وانزياح عن الرواية التاريخية المؤسسة، باعتبار أن الصراع بدأ في 1967".

وفي الواقع فإن إدراكات الفلسطينيين تقف إزاء إشكاليتين، أولاهما واقع هزيمة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة في صراعها مع إسرائيل، وضرورة الإقرار بذلك لحث الجهود على البحث عن بدائل، علما وأن ذلك لا يعني هزيمة الشعب الفلسطيني، وعلما وأن قيادة تلك الحركة تقر بتلك الهزيمة عمليا، لكن من دون أن تعترف بها أو تصارح بها شعبها.

وثانيتهما، تكييف تلك الحركة نفسها مع واقع إسرائيل وهيمنتها في المنطقة، ما يضع الفلسطينيين إزاء هزيمة مضاعفة، وهو ما يتمثل أساسا بالتكيّف مع سياسات إسرائيل التي تجزّئ شعبنا وتجزّئ حقوقه وتهمّش وجوده.

وعليه، فنحن إزاء انتخابات كنيست للفلسطينيين في 48 ضمن اللعبة الإسرائيلية، وإزاء انتخابات في الضفة والقطاع لسلطة فلسطينية تحت الاحتلال، ولدينا أعضاء كنيست، كما لدينا رئيس ووزراء وسفراء وعلم ونشيد، في حين إسرائيل هي ذاتها، تترسّخ وتتطور تحت ناظر القيادة الفلسطينية التي تتحدث عن السلطة والسيادة والاستقلال وأننا صرنا دولة، وأن الانتخابات لمجلس تشريعي للدولة الفلسطينية العتيدة!

قصارى القول، أن الأوان لقول ما ينبغي قوله، فتلك الصفحة من العمل الفلسطيني باتت قيدا وعبئا على شعب فلسطين وقضيته، لذا أختم بما جاء في بيان "ملتقى فلسطين" الذي اعتبر الدعوة إلى الانتخابات مجرد "مسرحية لتعويم الوضع السلطوي القائم" والذي طالب بتنحي الرئيس ومعه تلك الطبقة المهيمنة، "ووضع الممهدات السياسية والقانونية والتنظيمية اللازمة لإحداث التغيير السياسي، لاسيما لجهة التحرر من التزامات أوسلو، واستعادة الحركة الوطنية الفلسطينية لطابعها كحركة تحرّر وطني، وإعادة بناء منظمة التحرير، انطلاقا من وحدانية الشعب والأرض والقضية والرواية التاريخية".

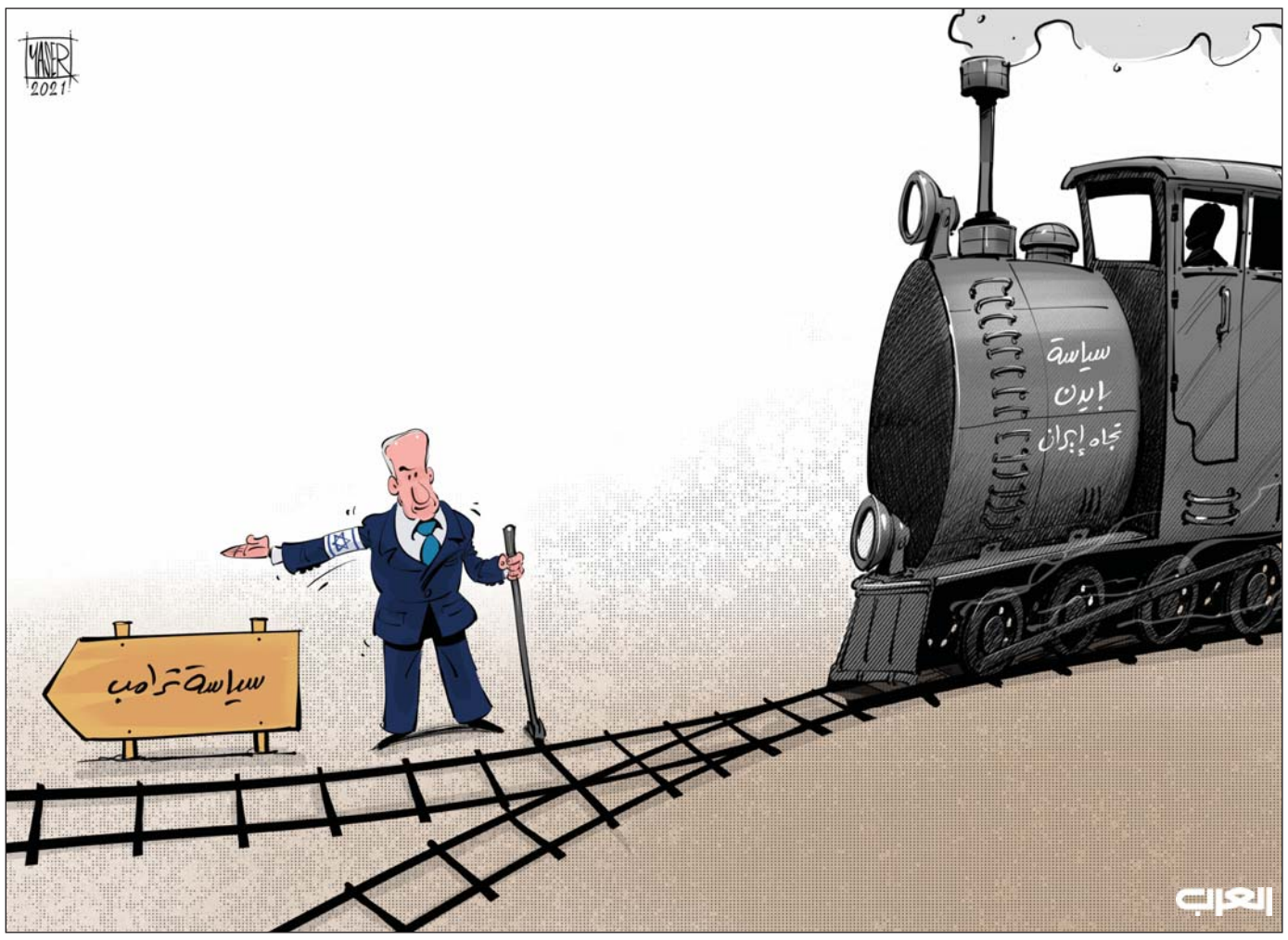

تطوير الصواريخ الإيرانية في الخطاب الإسرائيلي

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

بالتزامن مع تصريحات تصعيدية بلسان رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مع إيحاءات باحتمال أن توجه إسرائيل ضربة عسكرية إلى إيران، صدرت تصريحات لخبراء إسرائيليين تلخص بعض التطورات العسكرية الإيرانية، فضلا عن تطيير توقعات بأن طهران باتت على عتبة إنتاج سلاح نووي. ولا يزال المحللون يميلون إلى أن نتنياهو تحديدا، يتعمّد من خلال هذا السياق، توجيه رسائل في أكثر من اتجاه، تشمل إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن، مرورا بدول الخليج وصولا إلى الداخل الإسرائيلي، ضمن محاولاته إنقاذ حياته السياسية.

فمن جهة يريد نتنياهو إجبار بايدن على التواصل الدائم بإيهامه بأن محاولات تلطيف علاقة الولايات المتحدة مع إيران، مهدّدة بالانتكاس على اعتبار أن وصول إسرائيل إلى حافة الحرب مع إيران سيضطر الرئيس الأميركي إلى العودة إلى سياسة المواجهة، بحكم كون أمن إسرائيل هو أحد ثوابت السياسة الأميركية، أيّا كان الرئيس الساكن في البيت الأبيض. أما الرسالة إلى العرب الذين تفاهموا على التطبيع مع إسرائيل أو أوشكوا على التفاهم، فالهدف منها تغذية مخاوفهم على النحو الذي يعزز السياق التطبيعي. وفي الداخل الإسرائيلي، هو يريد أن يطرح نفسه من جديد، كملك لإسرائيل، بمقدوره أن يدفع عنها الخطر، بالمثابرة والقدرة اللتين لا يملك أحد مثلهما.

قبل ذلك وحتى الآن، استمر الجيش الإسرائيلي في توجيه الضربات إلى الإيرانيين بصورة دورية، ويحرص على التصعيد، لكي ينتقل الإيرانيون إلى مربع المواجهة. لكن هؤلاء، ومهما تعرضوا له من الخسائر في سوريا، لا يردون بقصف جوابي، وتعليلهم أنهم يعرفون مقاصد إسرائيل، وكل تصريحاتهم تقتصر في التأكيد على قدرتهم على "تسوية تل أبيب بالأرض". لكنهم من جهة أخرى يستمرون في تعزيز قوتهم العسكرية ويبذلون لأجلها معظم قدراتهم الاقتصادية.

مقابل ذلك، يتعمّد الإسرائيليون في كل يوم الكشف عن تطورات التسليح الإيراني لتجديد خطاب التحسب مما يعتبرونه التهديد الإيراني. وفي تقارير الأسبوع الأول من فبراير الجاري، ذكرت مصادر إسرائيلية، اعتادت الحديث عن أسرار الإيرانيين، أن طهران أطلقت مؤخرا صاروخا جديدا يحمل أقمارا اصطناعية يمكن أن تحمل رؤوسا نووية. وقد أعلن ذلك من خلال مجلة "فوربيس" التي ذكرت أن إطلاق الصاروخ تم في الوقت نفسه الذي بدأت فيه إدارة بايدن في مناقشة احتمالات إبرام صفقة مع طهران، وذلك لتثبيت الصلة بين مقاربات تل أبيب بخصوص العلاقة الأميركية الإيرانية، وتكريس المفهوم الأمني الإسرائيلي الذي يعتبر أي صفقة أميركية مع إيران تهديدا لإسرائيل.

في هذا السياق، جرى استخدام تال إنبار الذي شغل حتى العام 2019 موقع رئيس "مركز أبحاث الطائرات المسيّرة" التابع لـ"معهد فيشر للدراسات الاستراتيجية الجوية والفضائية" وغدا محللا يوصف بأنه مستقل في مجال الصواريخ والطائرات دون طيار والفضاء. فقد كشف عن معلومات إيرانية تغطي مسائل تكنولوجيا الصواريخ الإيرانية الجديدة. وقال كلاما مثيرا للاهتمام نشرته وسائل الإعلام الإسرائيلية، ومن بين ما قاله، أن المرحلتين الأولى والثانية من الصاروخ الإيراني الجديد تستخدمان الوقود الصلب، ما يجعله أكبر ويمثل هذا تطورا خطيرا في التصنيع العسكري الإيراني.

كان طبيعيا أن تأتي تصريحات تال وسط تغطية إعلامية غير مسبوقة لإبراز التهديدات الإيرانية المفترضة لإسرائيل. والمفارقة أن إسرائيل، التي تقصف الإيرانيين في سوريا بشكل يومي، مستمرة في طرح نفسها كطرف يتهدده الخطر الإيراني علما وأن أكثر الهجمات التي يتعرض لها الإيرانيون في سوريا، لم تنجح في إقناعهم بتسجيل محاولة واحدة للرد بالمثل. وأغلب الظن، أن إيران تنتظر صفقة بايدن معها، بينما تل أبيب تريد بالقصف، استفزاز الإيرانيين لكي تنضم واشنطن إلى تل أبيب في سياقها الإيراني!

وبينما النقاش دائر حول انضمام واشنطن إلى الصفقة الإيرانية، في كل مرة تهدد إسرائيل إيران، يكون جواب طهران هو تهديد إسرائيل، ليظل الطرف الإسرائيلي هو وحده الذي يهاجم، ولكي يعطل القصف الصفقة!

الصاروخ الإيراني الجديد، بحسب الخبير الإسرائيلي، حمل مركبة فضاء للأقمار الاصطناعية. لكن تال يقول ليست تلك رحلة تجريبية ولكنها إشارة إلى الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل نفسها، تقول إن تقنية الصواريخ الإيرانية غير مطروحة للنقاش في حال كان هذا النقاش يتعلق بصفقة أميركية إيرانية.

ويتساءل الخبير الإسرائيلي "ماذا يعني ذلك على مستوى الصواريخ الباليستية بعيدة المدى؟"، ويجيب "هو ليس صاروخا باليستيا عابرا للقارات، يمكن أن يحمل متفجرات شديدة الانفجار لعدة آلاف من الكيلومترات". ويردف قائلا "يُعد استخدام الوقود الصلب مهمًا أيضا لأنه يعني أن الوقت اللازم لطرحه وإعداده للإطلاق ضئيل للغاية". وفي هذه الإشارة الأخيرة، يحرّض تال على تضمين تصريحاته عنصر التخفيف من الخطر على مستوى الرأي العام الإسرائيلي.

وجدير بالذكر أن إيران تمتلك برنامجا صاروخيا مكثفا مع العديد من الصواريخ طويلة المدى والصواريخ الدقيقة التي تشمل "شهاب 3" و"سجيل" و"فتح 110" وغيرها. وقد عرضت إيران لأول مرة بعض التصورات الرسمية لمركبات الإطلاق المستقبلية التي ستكون أكبر وأثقل بكثير.

الإسرائيليون يتحدثون حيال التطور الإيراني عن التهديد ويتساءلون عن مدى الخطر، بينما المقصود هو الحفاظ على كل المقاربات السياسية والأمنية التي تبناها الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب مفتوحة

وبالإضافة إلى ذلك، فإن لدى الإيرانيين خطة لإنتاج مركبة إطلاق قمر اصطناعي بوزن 2.5 طن، كما يقول تال. وفي العام الماضي، أطلقت إيران قمرا اصطناعيا عسكريا وتحاول وضع قمر آخر في مدار متزامن مع الأرض في المستقبل. ويقول الخبراء الإسرائيليون إنهم ينتظرون رؤية الاتجاهات المستقبلية للإيرانيين الذين أصبحوا أكثر تقدما في مجال الدفع الصلب، وتصنيع الفوهات والمواد المركبة القابلة للتوجيه والمتحركة!

الولايات المتحدة، من جهتها، لم تتطرق إلى اختبار الصاروخ الجديد، وإن كانت وفي حال تسجيل اعتراضها، فإن ذلك سيكون بالطريقة نفسها التي تعارض بها واشنطن تجارب الصواريخ الرئيسية في كوريا الشمالية.

وغنيّ عن الإشارة، أن كوريا الشمالية تعمل مع إيران في مجال تكنولوجيا الصواريخ، وقد كشفت بيونغ يانغ مؤخرا عن صواريخها الضخمة.

وعلى صعيد صلة اختبارات الصواريخ بالسياسة والأيديولوجيا، من المهم أن نلاحظ أن الحرس الثوري الإيراني الذي يُمنى بخسائر شبه يومية في سوريا، لعب في الماضي، ويلعب راهنا، دورا أساسيا في دفع عملية تطوير الصواريخ. وقد شاركت في عملية إنتاج الصاروخ الجديد، وكالة الفضاء الإيرانية.

وفي العام الماضي أجرى الحرس الثوري مناورات كبيرة أطلق خلالها عددا من الصواريخ بوقود صلب وسائل.

حيال هذا التطور الإيراني يتحدث الإسرائيليون عن التهديد ويتساءلون عن مدى الخطر، بينما المقصود هو الحفاظ على كل المقاربات السياسية والأمنية التي تبناها الرئيس دونالد ترامب مفتوحة.